

35

الجزء الثاني عشر

الجزء الثاني عشر
العبد الصالح

عبد الحميد

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
رسوم : ا. عبد الشافي سيد
إشراف : ا. حمدي مصطفى



يُقَالُ إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَفَ يَوْمًا يَخْطُبُ فِي
بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَسَأَلَهُ أَحَدُ الْحَاضِرِينَ قَائِلًا :
- هَلْ يُوْجَدُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ
يَا مُوسَى ؟

فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :
- أَنَا أَعْلَمُ إِنْسَانٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ..

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ عَتَبَ عَلَى مُوسَى

عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ ..

وَيُقَالُ إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَوْحَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ
يُوجَدُ عِنْدَ مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ
الصَّالِحِينَ ، قَدْ آتَاهُ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ ، وَعَلَّمَهُ مِنْ
لَدُنْهِ عِلْمًا لَمْ يَعْلَمْهُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ أَعْلَمُ
مِنْهُ ..

وَقَرَّرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَنْطَلِقَ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ،
لِيَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، فَسَأَلَ رَبَّهُ قَائِلًا :

- يَا رَبِّ كَيْفَ أَصِلُ إِلَى هَذَا الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، وَكَيْفَ
أَعْرِفُهُ ؟ !

فَأَوْحَى اللَّهُ - تَعَالَى - إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَأْخُذَ حُوتًا
(سَمَكَةً) وَيَضَعَهُ فِي سَلَّةٍ ، وَفِي الْمَكَانِ الَّذِي تُرَدُّ
فِيهِ الْحَيَاةُ إِلَى الْحُوتِ ، وَيَتَسَرَّبُ نَازِلًا إِلَى الْبَحْرِ
سَوْفَ يَجِدُ الْعَبْدَ الصَّالِحَ ..

فَأَحْضَرَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمَكَةً وَضَعَهَا فِي سَلَّةٍ ،
حَمَلَهَا تَلْمِيذُهُ « يَوْشَعَ بْنِ نُونٍ » مَعَ طَعَامٍ لَهُمَا ،
وَانْطَلَقَ الاثْنَانِ فِي رِحْلَةٍ الْبَحْثِ عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ..
سَارَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَلْمِيذُهُ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ طَوِيلًا ،
وَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِتَلْمِيذِهِ :

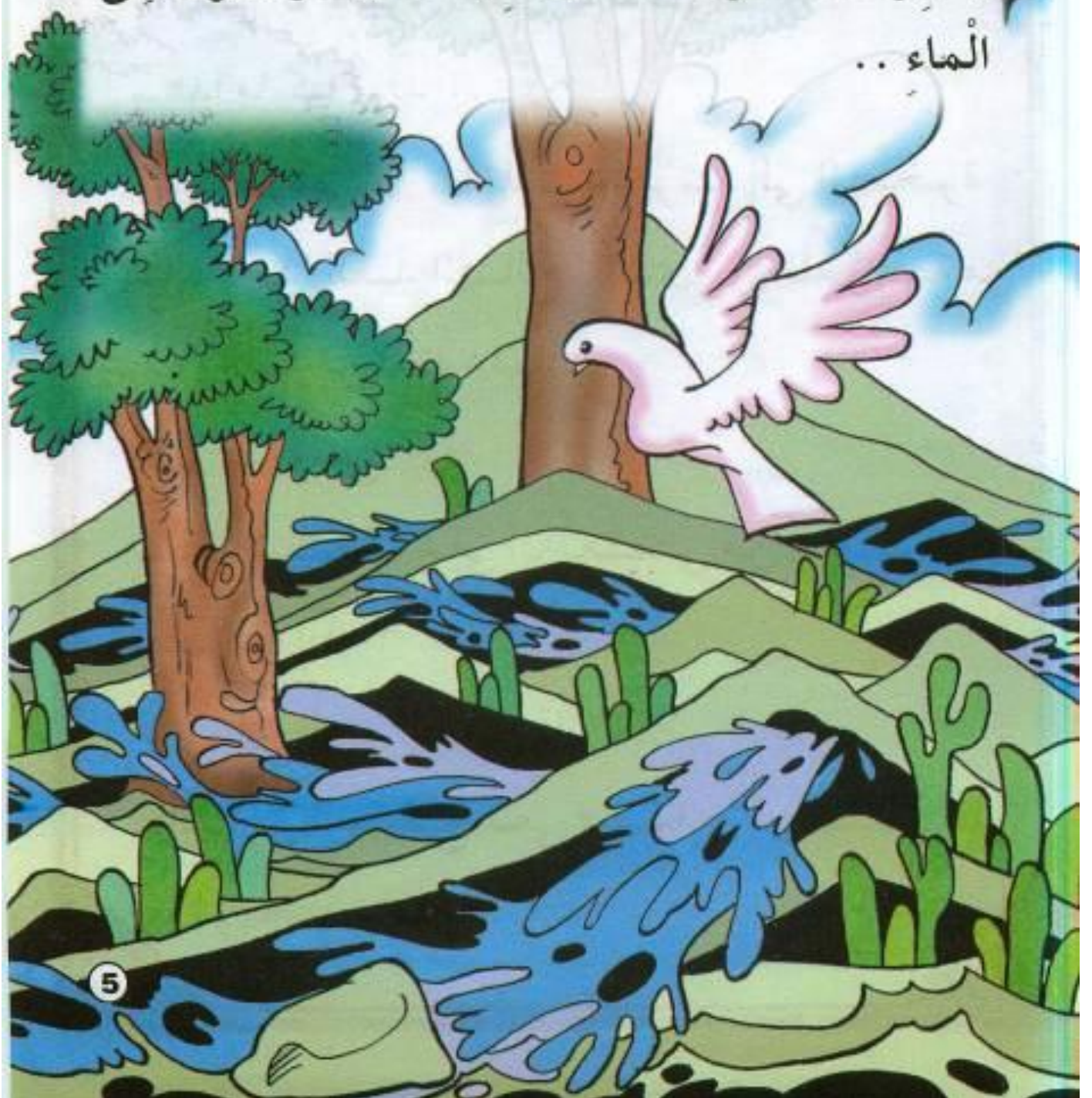
- أَخْبِرْنِي عِنْدَمَا تَرْتَدُّ الْحَيَاةُ إِلَى الْحُوتِ ، وَيتَسَرَّبُ
عَائِدًا إِلَى الْبَحْرِ ..
فَقَالَ لَهُ يَوْشَعَ :

- سَأُخْبِرُكَ عِنْدَمَا يَحْدُثُ ذَلِكَ ..
وَوَضَعَ يَوْشَعَ يُرَاقِبُ الْحُوتَ ، وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْتَظِرُ
فِي شَغَفِ اللَّحْظَةِ الَّتِي سَتَدُبُّ فِيهَا الْحَيَاةُ فِي الْحُوتِ ..
وَأَخِيرًا وَصَلَا إِلَى صَخْرَةٍ عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ ، وَكَانَ
التَّعَبُ قَدْ هَدَّاهُمَا ، فَجَلَسَا يَسْتَرِيحَانِ قَلِيلًا ، قَبْلَ
مُوَاصَلَةِ الرِّحْلَةِ ، فَنَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ التَّعَبِ ، بَيْنَمَا
جَلَسَ يَوْشَعَ يُرَاقِبُ الْحُوتَ ..

فَجَاءَتْ دَبَّتِ الْحَيَاةُ فِي الْحُوتِ ، فَقَفَزَ مِنَ السَّلَّةِ ،

وَاتَّخَذَ طَرِيقَهُ فِي الْبَحْرِ ، وَرَأَاهُ يَوْشَعَ ، لَكِنَّهُ لَمْ
يَشَأْ أَنْ يُوَقِّظَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ..

اسْتَيْقَظَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَلِكَ ، وَقَرَّرَ مُوَاصَلَةَ
الرَّحْلَةَ بَحْثًا عَنِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، وَنَسِيَ يَوْشَعَ أَنَّ
يُخْبِرُهُ أَنَّ الْحُوتَ قَدْ دَبَّتْ فِيهِ الْحَيَاةُ وَتَسَرَّبَ إِلَى
الْمَاءِ ..



وبعد أن سارا مسافةً من الطريق ، شعر موسى
عليه السلام بالجوع ، فطلب من يوشع أن يقدم لهما الطعام ..
وفي هذه اللحظة تذكر يوشع الحوت ، فأخبر
موسى عليه السلام بأن الحياة قد دبّت فيه عند الصخرة ،
وأنه نسي أن يخبره ، فقال له موسى عليه السلام :
- هذا ما كنا نريد ..

وعاد موسى عليه السلام وتلميذه يوشع إلى الصخرة ،
وهناك وجدوا العبد الصالح ، الذي آتاه الله رحمةً من
عنده وعلمه من لدنه علماً ..
فقال له موسى عليه السلام :

- هل أتبعك على أن تعلمني من علمك الذي
علمك الله إياه ؟

فرد عليه العبد الصالح قائلاً :

- إنك لن تستطيع معي صبراً .. لن تصبر على
ما لم تحط به علماً ..

فَالْحَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْعَبْدِ الصَّالِحِ أَنْ يُوَافِقَ
عَلَى مُصَاحَبَتِهِ لَهُ ، وَالتَّعَلُّمِ مِنْ عِلْمِهِ ، ذَاكِرًا لَهُ بِأَنَّهُ
سَيَكُونُ صَابِرًا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَلَنْ يَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا ..
فَوَافَقَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَلَى أَنْ يُصَاحِبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَيَسِيرَ مَعَهُ ، وَلَكِنْ بِشَرْطٍ ..

فَسَأَلَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ هَذَا الشَّرْطِ ، فَقَالَ الْعَبْدُ
الصَّالِحُ :

- أَلَا تَسْأَلُنِي عَنْ شَيْءٍ ، مَهْمَا كَانَ ، حَتَّى أُحَدِّثَكَ
عَنْهُ ، وَأَوْضَحَ لَكَ حَقِيقَةَ مَا غَابَ عَنْكَ ، وَخَفِيَ
عَلَيْكَ فَهَمُّهُ ..

فَقَالَ لَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

- لَنْ أَسْأَلَكَ عَنْ شَيْءٍ ، حَتَّى تَوْضِّحَهُ لِي ..
وَانْطَلَقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُحْبَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، سَارَا
عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ .. رَأَى الْعَبْدُ الصَّالِحُ سَفِينَةً تَمُرُّ
بِهِمَا ، فَأَشَارَ إِلَى أَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، فَحَمَلُوهُمَا مَعَهُمْ ..
وَيَبْدُو أَنَّ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ ، كَانُوا يَعْرِفُونَ

الْعَبْدُ الصَّالِحُ ، وَلِذَلِكَ رَفَضُوا أَنْ يَأْخُذُوا
مِنْهُ أَجْرًا عَنِ الرُّكُوبِ ..

سَارَتِ السَّفِينَةُ إِلَى الْبَلَدِ الَّذِي تَقْصِدُهُ ، وَفُوجِيَ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي قَاعِ السَّفِينَةِ ، يَخْلَعُ
لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا ، وَقَدْ بَدَأَتِ الْمِيَاهُ تَتَدَفَّقُ بِدَاخِلِهَا ،
فَتَمَلَّكَتْهُ الدَّهْشَةُ مِنْ تَصَرُّفِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، وَأَنْكَرَ
عَلَيْهِ تَخْرِيبَ السَّفِينَةِ ، قَائِلًا :

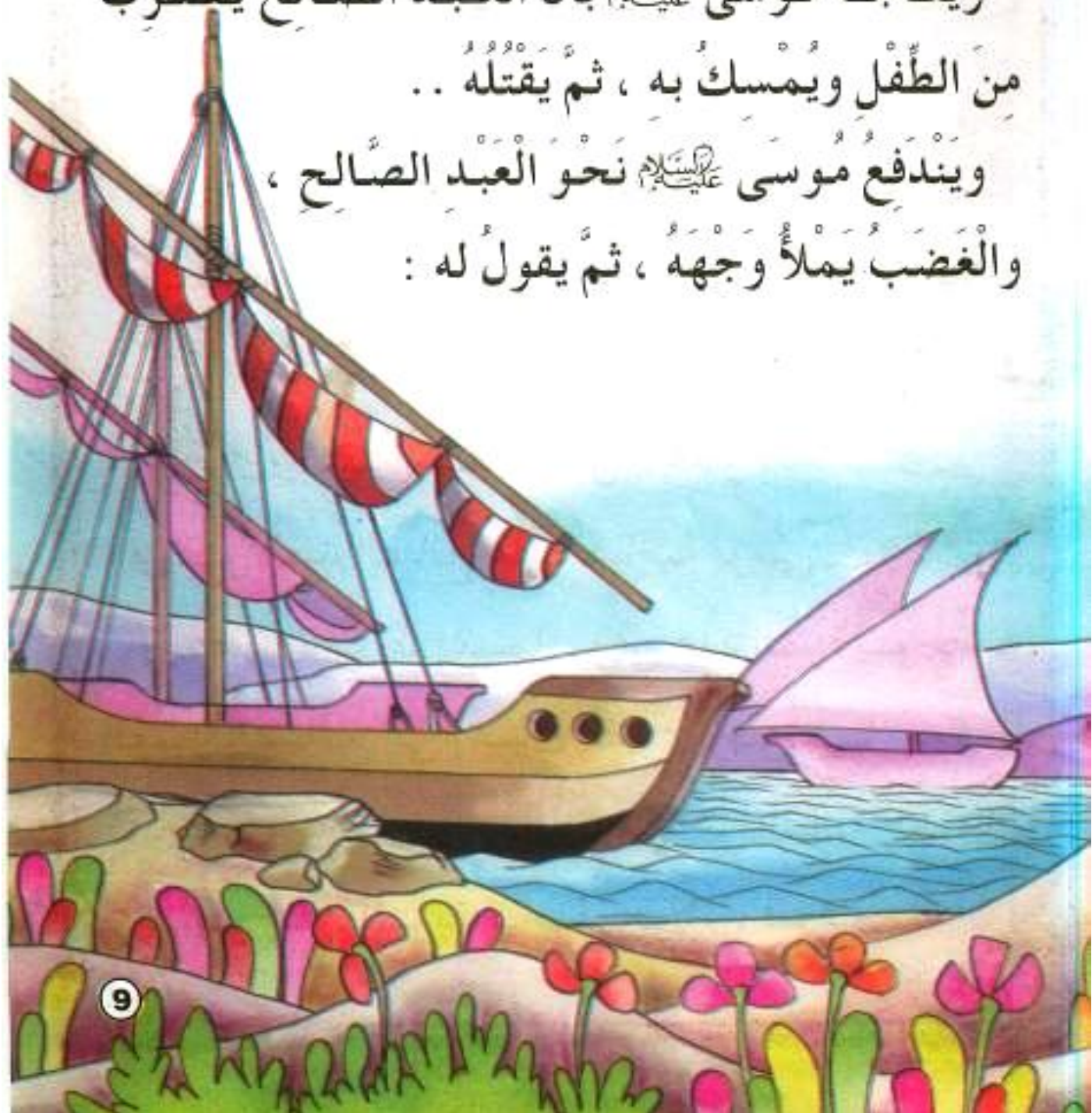
- مَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُهُ ، هَلْ خَرَقْتَ السَّفِينَةَ لِتُفَرِّقَ
أَصْحَابَهَا ؟! لَقَدْ فَعَلْتَ فِعْلًا مُنْكَرًا ..
فَيَقُولُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

- يَا مُوسَى أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟!
فَيَعْتَذِرُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ ، بِسَبَبِ مَا بَدَرَ مِنْهُ
مِنْ نَسْيَانِ الشَّرْطِ الَّذِي اشْتَرَطَهُ عَلَيْهِ .. وَيَرْجُوهُ أَلَّا
يَرْهَقَهُ أَوْ يُوَازِئَهُ عَلَى نَسْيَانِهِ ..

وَيَنْطَلِقُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صُحْبَةِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ، يَغَادِرَانِ
السَّفِينَةَ وَيَسِيرَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ ..

وَيَرَى الْعَبْدُ الصَّالِحُ مَجْمُوعَةً مِنَ الْأَطْفَالِ يَلْعَبُونَ
مَعًا ، وَيَجْلِسَانِ لِلرَّاحَةِ قَلِيلًا .. وَبَعْدَ قَلِيلٍ يَنْصَرِفُ
الْأَطْفَالُ وَيَتْرَكُونَ طِفْلاً وَاحِداً مِنْهُمْ .. طِفْلاً يَتَسَمَّى
وَجْهَهُ بِكُلِّ بَرَاءَةِ الْأَطْفَالِ ..

وَيَفَاجَأُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ يَقْتَرِبُ
مِنَ الطِّفْلِ وَيُمْسِكُ بِهِ ، ثُمَّ يَقْتُلُهُ ..
وَيَنْدَفِعُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ نَحْوَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ ،
وَالْغَضَبُ يَمْلَأُ وَجْهَهُ ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ :



— ما الذنب الذى جناهُ هذا الغلامُ حتى تقتله ؟ !
لقد قتلتَ نفساً حَرَّمَ اللهُ قتلَها ، بدُونِ ذَنْبٍ أَوْ
جَرِيْمَةٍ .. لقد قُمتَ بِعَمَلٍ مُنْكَرٍ ..
فِيَعُودُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ إِلَى تَذْكِيرِ مُوسَى عليه السلام
بِالشَّرْطِ ، الَّذِي اشْتَرَطَهُ عَلَيْهِ فِي بَدَايَةِ مُصَاحَبَتِهِ لَهُ ،
قَائِلًا :

— أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ؟ !
وَيَعْتَذِرُ مُوسَى عليه السلام عَنْ نِسْيَانِهِ لِلْمَرَّةِ الثَّانِيَةِ ، قَائِلًا :
— إِذَا سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ آخَرَ ، فَلَا تَسْمَحْ لِي بِمُصَاحَبَتِكَ
مَرَّةً أُخْرَى .. لَقَدْ اسْتَنْفَدْتُ كُلَّ الْأَعْذَارِ ..
وَيُؤَافِقُ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَلَى مُصَاحَبَةِ مُوسَى عليه السلام لَهُ ..
وَيَمْضِيَانِ فِي طَرِيقَهُمَا ، وَفِي هَذِهِ الْمَرَّةِ يَتَوَجَّهُ مَعَ
الْعَبْدِ الصَّالِحِ إِلَى إِحْدَى الْقُرَى وَيَدْخُلُهَا .. كَانَا
مُتَعَبَيْنِ وَجَائِعَيْنِ .. فَطَلَبَا مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ طَعَامًا ،
وَلَكِنْ أَهْلُ الْقَرْيَةِ كَانُوا بُخْلَاءَ ، فَرَفَضُوا أَنْ

يُضَيِّفَاهُمَا ، كَمَا رَفَضُوا أَنْ يُقَدِّمُوا لَهُمَا
كَسْرَةَ خُبْزٍ جَافٍ ، أَوْ حَتَّى جَرْعَةً مَاءٍ ، بِرَغْمِ
مَعْرِفَتِهِمَا أَنَّهُمَا غَرِيبَانِ ..
وَبِرَغْمِ ذَلِكَ فَقَدْ أَصَرَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي
الْقَرْيَةِ ..

جَلَسَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْعَبْدُ الصَّالِحُ بِجَوَارِ جِدَارٍ
قَدِيمٍ .. كَانَ مَنَظَرُ الْجِدَارِ يُوحِي بِأَنَّهُ آيِلٌ لِلسَّقُوطِ ،
وَأَنَّهُ سَيَنْهَارُ بَعْدَ وَقْتٍ قَصِيرٍ ، وَقَرَّرَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ
قَضَاءَ اللَّيْلِ بِجَوَارِهِ ..

وَفِي اللَّيْلِ فُوجِئَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّ الْعَبْدَ الصَّالِحَ
يَقُومُ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْجِدَارِ الْمَتَهَاوِي ، حَتَّى جَعَلَهُ مَتِينًا
فَتَعَجَّبَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَصَرُّفِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ أَشَدَّ
الْعَجَبِ ، وَاسْتَنَكَرَ قِيَامَهُ بِإِعَادَةِ بِنَاءِ الْجِدَارِ ..
وَقَالَ فِي نَفْسِهِ :

- أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ بُخْلَاءُ ، وَقَدْ طَلَبْنَا مِنْهُمْ الطَّعَامَ ،
فَرَفَضُوا أَنْ يُطْعَمُونَا .. كَيْفَ يَبْنِي لَهُمْ هَذَا الْجِدَارَ

مَجَانًا وَبِدُونِ مُقَابِلٍ .. ثُمَّ خَاطَبَ الْعَبْدُ

الصَّالِحَ قَائِلًا :

- لَوْ شِئْتَ لَا تَخَذُتَ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ أَجْرًا ..

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْعَبْدُ الصَّالِحُ قَائِلًا :

- هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ .. لَقَدْ اشْتَرَطْتُ عَلَيْكَ

وَحَذَرْتُكَ مِنْ قَبْلُ ، وَأَنْتَ قَبِلْتَ ..

وَبَدَأَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ يَوْضِحُ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ سَبَبَ

تَصَرُّفَاتِهِ فِي الْحَالَاتِ الثَّلَاثِ ، وَالَّتِي اسْتَنَكَرَهَا

مُوسَى بِشِدَّةٍ ، وَلَمْ يَسْتَطِعِ الصَّبْرَ عَلَيْهَا ، فَقَالَ :

- أَمَّا السَّفِينَةُ الَّتِي خَرَقْتُهَا لِأَغْرِقَهَا فِي الْبَحْرِ ، فَقَدْ

كَانَتْ مَلِكًا لِمَسَاكِينٍ يَتَكَسَّبُونَ مِنْهَا عِيشَهُمْ ، عَنْ

طَرِيقِ نَقْلِ النَّاسِ وَالْبَضَائِعِ بِالْأَجْرِ ، وَقَدْ كَانَتْ هِيَ

كُلُّ مَصْدَرِ دَخْلِهِمْ .. وَقَدْ كَانَ مَلِكُ الْبِلَادِ يَسْتَوْلِي

عَلَى السُّفُنِ السَّلِيمَةِ مِنْ أَصْحَابِهَا بِالْقُوَّةِ ، وَدُونَ أَنْ

يَعُوضَهُمْ عَنْ ثَمَنِهَا ، وَلِهَذَا أَحْدَثْتُ فِيهَا هَذَا الْعَيْبَ

الْبَسِيطَ ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِهَا الْمَلِكُ وَرَأَاهَا مُعَيَّبَةً تَرَكَهَا

لَهُمْ ، فَيَعْمَلُونَ عَلَى إِصْلَاحِهَا وَتَشْغِيلِهَا



مرّة أُخرى ، وهذا أهونٌ من ضياعها منهم ..

فقال موسى عليه السلام :

- والغلامُ الذي قتلته ؟!

فقال العبدُ الصالحُ :

- لقد أعلمني ربّي أنّ هذا الغلامَ عندما يكبرُ

سَيَكُونُ عَاصِيًا عَاقًا لَوَالِدَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ
الصَّالِحِينَ ، وَإِذَا عَاشَ فَسَيَدْفَعُهُمَا إِلَى الطُّغْيَانِ وَالْكَفْرِ
فِي شَيْخُوخَتِهِمَا ، وَلِهَذَا قَتَلْتَهُ ، حَتَّى يُبَدِّلَهُمَا اللَّهُ بِهِ
غُلَامًا أَكْثَرَ رَحْمَةً بِهِمَا وَأَشَدَّ عَطْفًا عَلَيْهِمَا ، وَأَكْثَرَ
بِرًّا بِهِمَا فِي شَيْخُوخَتِهِمَا ، وَهَذَا أَفْضَلُ لَهُمَا مِنْ
الْغُلَامِ الْعَاقِ الَّذِي قَتَلْتَهُ ، وَأَفْضَلُ لِلْغُلَامِ نَفْسِهِ ،
حَيْثُ مَاتَ عَلَى فِطْرَتِهِ ..

فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ :

— وَالْجِدَارُ الَّذِي بَنَيْتَهُ دُونَ أَجْرِ ، مَعَ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ
الْقَرْيَةِ لَا يَسْتَحِقُّونَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا ، بِسَبَبِ بُخْلِهِمْ
مَعَنَا ؟ !

فَقَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ :

— لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْجِدَارَ مَلِكٌ لْغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ ،
وَأَنَّ الْجِدَارَ تَحْتَهُ كَنْزٌ يَخْصُ الْغُلَامَيْنِ ، فَلَوْ تَرَكَتَهُ
يَنْهَارُ ، لَسَرَقَ أَهْلُ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الْكَنْزَ وَحَرَّمُوا



الْغُلَامِينَ مِنْهُ ، وَلِهَذَا بَنَيْتُ الْجِدَارَ ، لِيَحْفَظَ الْكَنْزُ
تَحْتَهُ ، حَتَّى يَكْبُرَ هَذَانِ الْغُلَامَانِ ، وَيَبْلُغَا رُشْدَهُمَا ،
فِيُصْبِحَانِ قَادِرَيْنِ عَلَى إِحْسَانِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِهِمَا ،
فَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا .. وَفِي ذَلِكَ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّكَ ..
رَحْمَةٌ بِأَصْحَابِ السَّفِينَةِ الْمَسَاكِينِ ، وَرَحْمَةٌ بِالْأَبْوِينَ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَرَحْمَةٌ بِالْغُلَامِينَ الْيَتِيمِينَ ، وَمَا فَعَلْتُ
ذَلِكَ كُلَّهُ إِلَّا بِعِلْمِ اللَّهِ الَّذِي عَلَّمَنِي إِيَّاهُ ..

وهكذا غادر موسى عليه السلام العبد الصالح ، عائداً إلى تلميذه
يُوشَعَ بَعْدَ أَنْ عَلِمَ أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمْ

بِعِلْمِهِ اللَّدُنِّيُّ ، الَّذِي لَمْ يَخْتَصْ بِهِ حَتَّى
الْأَنْبِيَاءَ ..

وَوَاصَلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ رِسَالَتَهُ حَتَّى تَوَفَّاهُ اللَّهُ .

(تَمَّتْ)



قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ
الْكِتَابُ التَّالِي
أَنْبِيَاءِ
لِبَنِي إِسْرَائِيلَ
بَعْدَ
مُوسَى
(عَلَيْهِ السَّلَامُ)
أَحْرَصَ عَلَى اقْتِنَائِهِ